مسرحية : للاديب الكبير : بول فاليري

نقلت الى اوبرا باريس عام ١٩٣١ : حقوق الترجمة والنشر باذن المؤلف

الاشخاص

امفيون ابولون شخص غير منظور الالاهات الاربع الاحلام الشعب

« نقلها : خليل هنداوي »

[يرتفع الستار عن نقب أو خرق واسع في صخرة على ذروة جبل يتهادى نحو السماء والفسحة الخارجة من يمين الصخور وشمالها انطها اشجار كثيفة من الكستنا والسنديان . وفي الاعلى تسطع القمة القاحلة ، وعلى يمين القمة صخور متبلورة وقليل من الثلج يلمع هنا وهناك في الأعالي . وفي وسط المشهد ينبوع يشف ماؤه القاتم ، وحوله تصعد شماريخ مختلفة تمتد بصورة غير منتظمة حتى تسد هذا النقب . وفي هذه النواحي فسحات فارغة . اما السماء فقد سطع منها جانب من المجرة . فيها ذرات مضيئة ونجوم مختلفة الحجم . والفضاء المظلم يبسط هنا وهناك . . . . في هذا المشهد يقع البصر على اشباح ليلية ترقص زمراً زمراً في كل مكان . تختفي ثم تُرى حيث تكاثف الظلمة المحيطة بها . ثم يدخل من اليمين والشمال رجال ونساء يفتش بعضهم عن بعض ، يتساءلون ويتفاهمون بالاشارة ، ويتوارون وراء الاشجار ، يجنحون الى الراحة ويدخلون في الظلام ، فتسمع الاذن في هذه الهدأة خفيف الكون ، ونسمة غير انسانية . وعلى هذه النغمة الواحدة تتمالى أنشودة الينابيع بصوت كصوت الاطفال] .

البائع : نحن البائع ، لنبك الزمن الفاني
بالقطرات المتتالية !
من دموع الثلج تجري كل حياة
وبنا تبكي الأرض باكية حتى البحر .
« يدخل اغيون وتملن ألحان صادحة عند قدومه . يدخل حافي الظهر »
« ويده حيوان على هيئة مسخ . يضغط على هذا الحيوان بقدميه ، ويسل »
« مديته ، وبينما هم بذبحه يسمع :
صوت : لماذا ؟ لماذا ؟
دع الحياة تحيا
واترك الموت بأيدي الخالدين !
« يسمع اغيون هذا الصوت فيطرح مديته ويفر الحيوان سالماً . وبعد »
« تردد قليل يتجه الى مغارة عميقة ، فيخلع الجلد عن ذراعيه ، ويجلس »
« متأملاً في السماء المكوكبة ثم يغرق في الكرى . تنظم السماء قليلاً قليلاً »
« وعلى بساط الظلام تبدو الاحلام وهي تزور النائم . وبينما حلمان غارقان »
« بالنعيم يريدان حربه ، فيلتفهما مسخ ، وتبدو أشخاص عليها يخرق »
« غريبة . واغيون غمره الرقاد ، وأخذ يظهر له « الحلم العاشق » بزي »
« راقصة عارية ترتدي رداء طويلاً ، تحتوعليه وتلمسه وتمرح به ، وكلما »
« حرك منه عضو أجفلت منه طائرة »
وهنا تظهر الإلاهات . . .
إلاهة تخرج من الينبوع وتنادي
« إلاهة » !
وثانية تخرج من صخرة وتنادي
« إلاهة » !
وثالثة ورابعة تزاح عنها الغصون وتناديان
« إلاهة » « إلاهة » !
تتالى هذه الأصوات في زمن واحد ، وصواحب هذه الأصوات يخطرن

في الظل كأنما يضنّ بجسمه ويأخذن بعضهن بأيدي بعض

إلاهة ١ : أني لأرى ما لم يكن !
إلاهة ٢ : أعرف ما لا يكون !
إلاهة ٣ : أصنع ما سيكون
إلاهة ٤ : وانا لا شغل لي الا الحب
إلاهة ١ : يا رفيقاتي ! يا أسراب النحل الجبل
لنطع الله ولنقدم أمسنا لهذا الانسان !
« ٢ : ان روحه تختبط في جحيم الناس
« ٣ : انهُ يشهد
« ٤ : انهُ يتململ
« ٢ : انهُ يتمنى
« ١ : انهُ يظن بأنهُ يحيا ! . . .

ولكن لنحترز من ان يشجيه الافراط في الألم قبيل الفجر !
هيا الى العمل ، ولكن لنبدد قبل كل شيء هذه الصفوف المشوشة من الأحلام !

[يبدأ قتال بين الاحلام والالاهات ينتهي بطرد الاحلام ، وآخر القتال مع الحلم العاشق .

[وها هنا يشمل الظلام قليلاً قليلاً ، ولا شعاع الا شعاع الإلاهات. يسطعن بالنور الازرق وامفيون بنور فضي ، والإلاهات يمضين على « امفيون » الذي لا يزال نائماً ، وهن يرقبنهُ بحركات سحرية وكلمات سهمة !

المهزهزة الساحرة : ايها الرجل النائم
ان الليل يغشيه عليك
والكون قد اوجدتهُ الإلاهات

[تجتمع الإلاهات حولهُ حلقة احتفالية ، واحدة على قدميها واخرى على رأسه ، واثنتان حول جسده وقد بسطتا أيديهما وشخصت عيونهما في السماء.

أيها الاخوات الامينات للعبقرية الالهية

الجميع : إن هذا الرقاد الذي مهدتهُ أيدينا
يُسلم هذا الانسان لله

الالهة : يا لهُ من سلام قدسي يتألق على هذا الوجه الصافي !

الالهة : انهُ تمكس عليهِ ابتسامة احلامها النجوم

الالهة : هذا الجسد الصافي ، هذا الجسد الساكن شبيه بالمعبد !
بالحجر المقدس .

الالهة : وروحه أضاعت سبل الحياة .

الالهة : انهُ كخالد يجهل نفسه .

الالهة : انهُ — الآن — ليس الاَّ ما سوف يكون !
يصغ الى الهاوية !

[رعد بعيد والالاهات يسجدن]

صوت ابولون : [كأنهُ يصدر من جوف الشهد]
امفيون !

الالاهات : ابولون !

الاصداء : ابولون !

الالاهات : تحيك في جنح الليل السحيق يا آله النور !
كم يحلو في اعماق الظلمات الاصغاء الى الكلمة القوية . . .

الالهة : يا سبب الشمس ، ان الظلمات تمتدك ،
والضعفاء من الرجال يحلمون في رقادهم بفجر سني يطلع عليهم من يديك .

الالهة : ألا زر هذا الراقد ! وأيقظ فؤاده حتى يصغي شيطانه الخاضع الى صوت
الحكمة القدسية
ابولون !

الاصداء : أ ، يو ، لون ! . . .

الجميع : اضرب يا الهنا ، اضرب . . . أثر ، وأضيء ،
بصوتك الخالد اضرب هذا الراقد !

كما تسطع الشمس الصافية على ذروة الجبل وتنير القمة الشاهقة السامقة !
اضرب أيها الالـه ! تعال أيها الآلـه . . .
الاصداء : أيها الآلـه !
[رعد بعيد]
[الالاهات ساجدات ولمعة غريبة على وجه امفيون]
صوت ابولون : امفيون !
اني انتخبتك من بين البشر كما ينتخب الحب :
وكما تنتخب العاصفة القمة .
أني اصطفيتك . . .
فيا أيتها النفس الضيقة اسمعي وتقبلي ابولون !
[يرتعش امفيون]
الالاهات : ابولون !
الاصداء : ابولون
صوت ابولون : اسمع اني سأكون بك مقرباً للناس ، للذرية الفانية .
سأعطيك منشأ النظام
سأنزل عليك في اللحظة النقية الصافية
إذ ذاك ينشأ على وجه الارض فصول معظمة تفسرها الحكمة السماوية
سأأتمنك على ما ابتكره « هرمس »
وسأهبك الآلة العجيبة المذهلة
العود . . . .
امفيون ، امفيون !
أيقظ النغمة البكر واتمر بها
ستنتشر على أوتاره السبل التي تتبعها الآلهة وستجدها .
وعلى هذه السبل المقدسة تتفتح أثرك النفوس .
المادة الجامدة تتدو أسيرة عودك .
خذ العود سلاحاً وحرك الطبيعة

وليولك عودي معبدي !
وليرتجف الصخر باسم الاسم الالهي . . .
واجذب من الضباب هذه الخرائب من النمم !
وقدم لي منذ الفجر معبداً منيراً
ولتكن حوله مدينة كبيرة تهتف فيه بالصلاة .
ولترفع يداك اليَّ مقدساً لي ما خلقتُ وأبدعتُ
امفيون ! . . .

الالاهات : ابولون

الاصداء : ابولون

[تتسرق الاصداء . . .

صوت ابولون : وانتنَّ أيتها الالاهات الجميلات الأمينات !
أيتها العزيزات التقيات !
ايتها العاذلات !
احبينه واحرسنه !
ولكن اطلبنَ ألاَّ سعادة له ، ولا سعادة تنتظره - انهُ لا يحيا الاَّ من أجلي !
انني اتخذته كقصة تتخيلها العاصفة !

[تنهض الالاهات وتقبل يديه وقدميه وجبينه

اصوات من حوق بعيد : امفيون ، كن معجزة
وكن صحبة المعجزة الكبيرة

[يشمل الليل ولا يسمع فيه الاَّ اصوات الالاهات اللواتي ينادينَ في الظلام]

الالاهات : الاهة ! الاهة ! الاهة

[يعود النور قليلاً قليلاً مصبوغاً بألوان الفجر وتتوارى الالاهات فيرى العود عند قدمي « امفيون » وخلية مهمة من الطبيعة الحية التي تتيقظ . وهتاف عصافير وهدير مياه . وتكرار نشيد الينابيع]

[يستيقظ الرجال والنساء ، منهم الذاهب الى صيد ، ومنهم الرائح الى عمل . والنساء من الواردة منهل الماء ، والراقدة على الماء تتراءى ، والصغار يلعبون ويتخاصمون . فيضطرب امفيون]

[يتيقظ امفيون وفي خلال هذا المشهد ينسل الاشخاص ، والموسيقى توقع ممثلة حركات « امفيون » يستوي فجأة على مضجعه ويتأمل ثم ينتصب ويمشي بضع خطوات ، يتروح نسيم الفجر ثم يهبط الى الينبوع ويرشف منه طويلاً . يرقص كمن يحرك أعضاءه ، فيقع بصره فجأة على العود يتأمله امفيون مستغرباً ويمسكه]

[يضرب فجأة فيرن وتر من اوتاره رنيناً قويًّا يجيب عليه هزيم الرعد وكتلة من الجبل تسقط ولها صوت عظيم ، ينهزم الناس مذعورين . منهم المقبل ومنهم المدبر ، فيرتاع امفيون ويترك العود ، ثم يعود اليه محاولاً ، القيام بتجربة ثانية .]

[مرة ثانية . تعطي نغمة رقيقة فتهوي اليه بعض الصخور هوينًا لطيفاً لا صوت له ، ويطلع عليه عشاق وعاشقات مادين بأذرعهم اليه . وقد عقدوا الايدي وانسلوا رويداً رويداً ، فيضع العود ويتأمله ، وهو جالس على صخرة يكتنفها الماء فيرى وجهه . . . فيعود اليه حلمه قليلاً قليلاً ، وتسمع نغمة مهزهزة الالآهات بفم مطبق ، فينهض امفيون مذعوراً ويحدق في السماء مستنجداً مستغيثاً]

الالاهات من حيث لا تنظر : امفيون !

امفيون : من يناديني ؟

الالاهات : نفسك !

امفيون : لتذكر نفسك

١ : من يتكلم ؟ أذكر . . ان صوتاً علويًّا ، ان صوتاً لا وجه له يتكلم في جنح الليل

الم اسمع كلمات القضاء ؟

هل اراني اجد سبيل غرائب الظلام ؟

٢ : ايها الصوت القدير !
لقد قيل . . . انهُ تكلم . . .
كما تتكلم الهاوية المنارة
هو الذي يخيل اليّ ان في السكون وتحت النجوم يناجي ذرية الانسان الشقية ذات الارواح الزائلة !

٣ : انهُ قال . . . السماء التي تتكلم
قالت :
« امفيون !
انني انتخبتك كما ينتخب الحب
انني اصطفيتك كنفسة تنتخبها العاصفة . . .
انني اخترتك !
وحبوتك الآلة الغريبة
العود ! . . .
خذ عودك سلاحاً وايقظ النغمة البكر
وليولد عودي معبدي !

٤ : ايتها الآلة الخفية ما اعظم قدرتك !
ايتها الآلة التي تهب الحياة والموت
انت التي تقذف ملاعبها الالهية روح الوجود !
انني اكاد المس اوتارك الذهبية التي شدها الاله
السماء والارض ارتعشتا
واحسست ان الصخر يهتز كأنهُ بدن امرأة مأخوذة !
ورأيتُ
الغضب والحب يولدان في الناس
والغضب والحب يفيضان من بين انامل ! . . .

٥ : هل جرحت او صدمت او جذبت
جسد الوجود الحي ؟ وقد يكون ذلك
وهل أثرت — على غير علم مني — في مادة السماوات ؟
وهل لمست الكائن نفسه الذي يواري عنا أسرار الاشياء ؟
ها أنا الآن أقوى من نفسي .
ها أنا أجدني غريباً ومحترماً لنفسي
تائهاً في نفسي ، وحيداً حول نفسي !
ارتعش كالطفل ازاء ما اقدر عليه
٦ : ابولون ، ابولون ، اني سأطيعك
مؤلفاً رسومات على السود
أناملي هي آلهة ،
وقلبي سابق للناس
٧ : سأغير على الصخور المضطربة المشوشة
وصولي الصافية ستسخر لأثر لا مثيل له ،
خرائب الفهم والمسوخ المتدحرجة الهاوية من حنايا عالية !
٨ : مولاي ابولون معي . . .
سأتبع العسل والجمال كفريسين !
ابولون يعبرني ويعزف مع صوتي .
سيأتي هو نفسه ليبني معبده .
والمدينة التي ينبغي ان تظهر لعيون الناس قد شوهدت تلمع وتسطع
في مساكن الخالدين على الأبد .
[يأخذ امفيون عوده ويريد السماء ويتأهب للعزف وقد امتلأ صدره حمية
ويقيناً ، يضرب على الاوتار ضرباً يسمو فيه الفن سمواً رفيعاً فتهتز الطبيعة
وترجع الاصداء صوته ويطفح المشهد بالمذهولين . . . .
ثم يعزف ضرباً من الرقص المقدس ويستوي على قاعدة الصخور من
الجهة اليمنى ويصيح :]

امفيون : بك يا ابولون !

[وهنا يبدو فن البناء وهو مما يدعي فيه التلاؤم بينهُ وبين الموسيقى والاشارات والحركات . والموسيقى هي المعبرة عن حركة الاشخاص والآلات المتحركة . (١) الحان الحجارة — حجارة ترحل وترتفع لبناء المعبد ، والحان الحجارة تبدأ بايقاع ينتظم قليلاً قليلاً]

جوق غير منظور : يالمعجزة ! يالغرائب !

الصخر يمشي والارض تخضع لهذا الآله .

أية حياة مروعة تدب في الطبيعة !

كل شيء ينحني ! كل شيء ينفتش عن النظام لينتظم

كل شيء يحس أنهُ خاضع لقدر

[البناء يكمل ، واجزاء من العمارات منثورة في أحناء الخيال . رسم المعبد يتوطد . . . عمارة صغيرة مؤلفة من عدة رواقات كاملات ، ثم تظهر الالاهات موشيات بالذهب ، ينتظمن في المعبد كأنهن اعمدة . . . ويرتلن]

الالاهات : يابنات الذهب ! انزلن بشرائع السماء . . .

يسقط علينا وينام الله لونه لون الشهد !

[يسطع النور وتشتد الموسيقى . وخلال ذلك يتبدل المشهد ، فالخيل ينتشر عليه البنايات ، وقد غطت الجدران ولمعت السقوف في الشمس والشعب منتشر زمراً زمراً]

جوق الشعب : ايتها الشمس المباركة طلعتها !

أيها اللهب الذي يحمل في السماوات المعرفة والحياة . . .

ايتها الشمس !

ليس ثمة من يقوى على تأمل مصدر نورك !

ان لمعة الطلعة الالهية — اللمعة التي لا تطاق — تحجب عنا الآله !

اما انت فانظري ايتها الشمس عجائب الانسان :

ها هنا يبدو عالم يصنعهُ احد منذ أشرق وجهك على الوجود !

جوق الشعب: ها هو امفيون ، امفيون الظافر يقدم لك هذه الحجارة الجبلية لكي يلتقط أشعتك الصافية .

اقم هذه المساكن المسوهة بالذهب ، ونصب لك هذه الجدران العالية .

أيتها الشمس !

تأملي معبدك وأريحي شعاعك المتوقد على شكله البديع !

ولكن جميلاً عذباً بالشعاع المنحدر من الجبين الالهي !

(دعاء وتهليل ، يدعى امفيون الى المعبد !)

جوق الشعب : امفيون الجليل تقبل مدائحنا !

كن قائدنا ، وملكنا .

اصعد الى العرش ، واصعد الى المعبد ، يا امفيون ! ...

(يدخل امفيون وقد احاطت به الجماهير وعليه الزينة المتعقة)

(وخلال هذا المهرجان تتقدم الالآهات)

الالهة (١) : الليل انتهى ...

الالهة (٢) : سأنحدر عن معلم ثان

الالهة (٣) : لا يهمنا امره مهما كان !

الالهة (٤) : انني لم اكن الا أملاً ... !

(يتسرمن الظلام وفي اللحظة التي يهم فيها البطل بالصعود الى الهيكل يبدو منه خيال امرأة محجوبة ، يدخل الملاً ويسد عليه الطريق بذراعيه المفتوحين على شكل صليب . يهوي على الزينة حجاب . والنور يضعف والموسيقى تخف بأسها . يدور امفيون ولكن الخيال المحجوب يمسكه بحنان ويأخذ منه العود الذي انبثقت منه الحانه وتلقيه غير بعيد في الينبوع فيواري امفيون وجهه في حجر هذا الخيال الذي هو : الحب او الموت . وينجذب بها منقاداً مذهولاً ، بينما الموسيقى تعزف لحناً مظلماً عذباً قليلاً .)

« الستار »